

نقابات العمال

طريق الطبقة العاملة إلى الرقي والرخاء
ودعامة التقدم الاجتماعي في مصر الصناعية

بقلم الأستاذ عبد الحميد عبد الغنى

استهدفت حركة العمال فيما مضى لكثير من المساوئ والأخطاء، فاحتل العمال في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية كثيرا من التجارب والأعباء. وقد آن لهذه الطبقة المجاهدة أن تتلافى أخطاءها وتخفف أتعابها، فتسير في طريق نهضتها على هدى وبصيرة، نشيطة الحركة فسيحة الخطى.

فما ميلها إلى ذلك ؟

ليست بيدها سوى وسيلة واحدة : إما أن تأخذنا فننض دعائمها وترقى شئوننا، وإما أن تدعها فنظل في شدتها وعنائها متخلفة وراء الصقوف. وهذه الوسيلة هي اتحاد العمال في "نقابات" تنظم قواهم وجهودهم، وتؤلف ميولهم وأفكارهم، فننض بهم ماديا وأدبيا إلى مستوى يقفون فيه جنباً لجنب مع أصحاب الأعمال.

فالعامل المفرد الأعزل لا يستطيع أن يساوم صاحب العمل - كما يساوم المشتري البائع - على الأجر الذي يتقاضاه، أو على المدة التي يقضيها في العمل، أو على نوع العمل الذي يزاوله. فإما أن يقبل ما يعرض عليه من أجر زهيد أو جهد مرهق أو عمل تحفه الأخطار، وإما أن يرفض مؤثرا البطالة وما تتحمله من مشاق تبلغ حد العرى والجوع ! أما صاحب العمل فيسعه أن يتوقف عن العمل مدة ينفق في أشائها مما أدخر من أرباح طائلة، على نقيض العامل الذي يعيش يوما بيوم فبيت لا يدرى أيجد قوت غده أم لا ؟ ثم ماذا يضطر صاحب العمل إلى وقف أعماله ؟ إنه يستطيع أن يجد بدل العامل الذي رفض أجره البخس أو عمله المجهد عشرات ومئات من العمال يقبلون حكمه وقضائه انقاء للتعطل، وفرقا من الجوع. بل إنه يستطيع أن يستغنى عن عمال المنطقة التي يقيم فيها بأسرها ويستورد عمالا من منطقة أخرى يرضون بما لم يرض به هؤلاء، بل إنه يستطيع غالبا أن يستغنى عن هؤلاء وأولئك بالآلة لا تكلفه

تفتحات باهظة كهذه التي يتقاضاها العمال ، ولا تمتلك معه على هذا قبولا ورفضاً ، أو قناعة وطمعاً ! أما العامل فمن أين له بصاحب عمل بدلا من هذا الذي أبى عمله ؟ هل تفتح له أبواب المصانع إذا أغلق أحدها في وجهه ؟ أم هل يستطيع أن يستورد صاحب عمل من الخارج كما يستطيع صاحب العمل أن يستورد مئات من أمثاله ؟ أم هل يستطيع أن يتخترع آلة يحلها محل صاحب العمل ويسيرها كيف يهوى ويشاء ؟ ؟

وثمة أمر آخر أخطر وأفسى ، هو جهل العامل الذي يؤذيه أكثر مما يؤذيه فقره . فتلما يصيب العامل حظا من الثنافة أو الدراية يمكنه من تدبير شئونه وتيسير أموره ، إذا ما هي اصطدمت بمصالح صاحب العمل الذي اكتسب في الغالب نصيبا من العلم والخبر ، يمكنه من توجيه "سوق العمل" الوجهة التي تفيده وترضيه .

هذا هو مركز العامل الفرد ومركز صاحب العمل الفرد ، ذلك فقير وضعيف وجاهل وهذا غني وقوي ومثقف . ولكن ما ذا يكون الأمر إذا ما اتخذ العمال ؟ ؟ تتعادل كفة العامل مع كفة صاحب العمل ، فيستطيع كل منهما أن يساوم الآخر مساومة حرة لاغصب فيها ولا إكراه .

لماذا ؟

لأن هذه الجمعيات المؤلفة من العمال تمكن كل عامل فيها من أن يتوقف عن العمل المجحف المرهق بما تمده به من الإعانة في أثناء بطالته . ولأنها تجمع العمال من صف واحد فلا يستطيع صاحب العمل أن يتفق مع العامل على أنه فرد مستقل ، ويفرض عليه رغباته وشروطه كيف يشاء ، بل عليه أن يتفق مع العامل على أنه عضو في جماعة كبيرة تؤيده وتؤازره وتدويه . ولأن هذه الجمعيات يرأسها ويوجهها رجال مثقفون مدربون فني وسعهم أن يمددوا العمال بآراء وافية عن سوق العمل فلا يكون جهلهم وسيلة لتحكم أصحاب الأعمال في رزقهم وحياتهم .



تختصر الأغراض التي تسعى إليها نقابات العمال فيما يأتي :

١ - إحلال المساومة الإجماعية محل المساومة الفردية عند الاتفاق على الأجور . فلا يتفق صاحب العمل مع العامل بمفرده على الأجر الذي يتقاضاه ويتيسر له عندئذ أن يتحكم فيه كيف يشاء ، بل عليه أن يتفق مع القنابة بأسرها ، وهي التي تستطيع بفضل اتحادها ومواردها أن تساوم على الأجر مساومة حرة لا يفرض فيها حق العامل . وأصحاب الأعمال مضطرون في هذه الحالة إلى التساؤل في إجابة مطالب النقابات والاتفاق معها على الأجور التي ترضيها ، وإلا امتنع على جميع العمال المنتظمين في هذه النقابات أن يقبلوا أعمالهم .

٢ - إيجاد حد أدنى لمستوى الأجور . وهنا يقول بعض الاقتصاديين إن اتخاذ العمال لا يمكنهم من أن يحددوا مستوى الأجور كيف يريدون ، وهذا صحيح ، لأن هذا المستوى يخضع لظروف اقتصادية ليس في وسع العمال أن يسيروها وفق هواهم . ولكن العمال لا يتحدثون ليسعوا إلى تحديد أجور معينة لا بد من تناضيبها ، بل لينالوا أكبر أجر تسمح به الحالة الاقتصادية العامة . فإذا كانت حالة الإقليم المالية تسمح بأجر قدره عشرون قرشا فانهم يتحدثون ، لا لينالوا ثلاثين قرشا ، بل لينعوا أصحاب الأعمال من أن يتقصوا أجرهم عن هذه العشرين .

٣ - وضع حد أعلى لمدة العمل اليومي . وقد وفقت نقابات العمل في أوروبا الى دفع الحكومات إلى تحديد ساعات العمل ، فصارت في الغالب لا تزيد على ثماني ساعات في اليوم الواحد ، وأحيانا لا تتجاوز أربعين ساعة في كل أسبوع ، بعد أن كانت مدة العمل اليومي في مستهل عهد الصناعة الحديثة تبلغ خمس عشرة ساعة ! وإنقاص ساعات العمل لا يفيد العامل في جسمه وصحته لحسب ، بل يفيد المجتمع كله بما يؤدي إليه من علاج مشكلة البطالة ، ذلك أن من مناقضات الحياة الاقتصادية أن تنقسم الطبقة العاملة قسمين : أحدهما يعمل الى حد يرفقه ، وثانيهما يتنقل الى حد يضره ، مع أنه لو قسمت "كيفية العمل" الموجودة على الفريقين ، لأنقذ الأول من الإرهاق وأنقذ الثاني من البطالة .

٤ - المطالبة بجعل الأعمال التي يزاؤها العمال غير مرهقة للجسم ولا مؤذية للصحة ولا معرضة للأخطار . وقد قامت الحكومات ، مدفوعة بجهود النقابات ، إلى تحقيق كثير من هذه المطالب ، فهي تفرض على أصحاب الأعمال أن تكون مصانعهم فسيحة رحبة ينفذ إليها الضوء ويتجدد فيها الهواء وتنصرف منها الغازات الضارة التي تنبعث من النوافذ والآلات ، وتحتم عليهم أن يستخدموا من الوسائل الواقية مالا يعرض العمال لكثير من الإصابات ، وتفرض عليهم تعويضات يدفعونها للعمال إذا هم أصيبوا من جراء آلتهم أو أعمالهم .

٥ - إيجاد "تأمين متبادل" بين العمال ضد المرض والإصابة والشيخوخة والبطالة وكل ما يتعرضون له من ظروف تمنعهم من العمل والكسب . والنقابة أشبه شيء بجمعية تعاونية تسعى الى مصالح مشتركة . فاذا دفع كل عضو للنقابة بضعة قروش كل شهر تجمع من هذه القروش القلائل آلاف الجنيهات التي تحمي العامل من الفوائت التي تهدده في كل آن ، أي أن النقابة تحمل هذه الفكرة السامية ، فكرة التعاون ، فيعيش الفرد للجماعة وتعمل الجماعة للفرد ، وبذلك يقضى على روح الأنانية التي لاتسرى في بيئة إلا أنفستها .

٦ - ترقية مستوى العامل الأدبي ، فنقابات العمال لا تقتصر على السعى الى هذه الأغراض المادية ، بل تجعل من أما كنها أندية يؤمها العمال ليقروا فيها الجرائد والمجلات ويطالعوا فيها الكتب التي يؤلفها لهم زعماءهم وكتابهم ، وليسمعوا المحاضرات القيمة التي تنبه أذهانهم وتوجهها الى التفكير في نواح قيمة متعبة بدلا من قتل الوقت في المقاهي بين الميسر والخمر والمخدرات ، ولهذا لا نوجب اذا عرفنا أن كثيرا من رجال الأعمال في أوروبا وأمريكا يشترطون في عمالهم أن يكونوا متظمين في نقابات ترقى بتفكيرهم ومستواهم .

ويعترض كثيرون على توحيد صفوف العمال بأن نقاباتهم تتخذ من "الاضراب" سلاحا تشره في وجوه أصحاب الأعمال اترغهم على تحقيق مطالبها مهما أسرفت وتغالت فيها . ولكن الواقع أن النقابة إذا كانت منظمة تنظيما دقيقا ، وموكولة الى رجال أكفاء قادرين فإنها تستطيع أن تحقق كثيرا من أغراضها دون أن تلجأ الى الاضراب ، كما يستطيع القائد المحنك - على حد قول العلامة جيد - أن يكسب الحرب دون أن يخوض معمة القتال . والواقع أن أفضل النقابات نظاما وأعظمها قوة وأشدّها تأثيرا هي التي تتخذ سبيل التفاهم والحسنى ولا تلجأ الى الاضراب إلا اذا أعجزتها شتى الطرق وقهرتها الحاجة القصوى .

هذا وقد أباحت الحكومات للعمال حق الاضراب مع استثناء العمال القائمين بالمرافق العامة التي تمس المجتمع في حياته اليومية كمرافق المياه والضوء والسكك الحديدية . وذلك أن الحكومات وجدت نفسها عاجزة عن أن تمنع أصحاب الأعمال من أن يتعدوا ضد العمال . فكان من العدالة أن يتيح للعمال أن يتعدوا جميعا وينظموا الاضرابات العامة لينالوا حقوقهم من أصحاب الأعمال .

*
*

هذا هو طريق العمال إلى القوة والنهوض : اتخذه من قبل عمال أوروبا وأمريكا لجمع شئاتهم وتوحيد صفوفهم ، فإذا بهم أقوياء لا تهضم حقوقهم ، ولا تهمل أمورهم ، وإذا بهم مثقفون تفتح عيونهم على ما يجري في بيتهم ووطنهم والعالم جميعا من مشاكل وقضايا وإذا بهم بعد ذلك قوة يقام لها وزن ويخشى بأسها ويعتد بها في كل أمر خطير .

فليحصر عمالنا همهم وجهدهم في تحقيق وحدتهم بنقابات منظمة ، تجمعهم معا ، سعيا إلى مصالحهم ودفاعا عن حقوقهم ، ولكن غايتهم من هذه الوحدة رفع مستوى حياتهم المادى والأدبى إلى درجة يمكنهم عندها أن يؤدوا واجبهم في نهضتنا الصناعية القائمة على خير الوجوه ، دون أن يكون في سعيهم إلى مصالحهم ومحافظتهم على حقوقهم ما يقيم العقبات في طريق تقدمنا الاقتصادى الذى يقتضى تعاون الطبقة العاملة وأصحاب العمل في سبيل المصلحة القومية العامة .

وها هي الحكومة الرشيدة تهيئ للطبقة العاملة طريق الاتحاد والتعاون ، إذ تجتهد في استصدار قانون لتنظيم نقابات العمال على أساس يحفظها من أسباب الفوضى والاضطراب ويقيها من ذوى الأغراض والأطباع ، ويمكنها من تحقيق آمال العمال فيها فترفع أجورهم وتخفف أعباءهم وتصحح شؤونهم وترقى بمستواهم الفكرى والخلقى ، فليمدّ العمال أنفسهم لاستقبال هذا العمل المجيد الذى تجتهد الحكومة فى إنجازه ، وليدعوا أن عمال أوروبا وأمريكا لم يرقوا ولم ينهضوا إلا عن طريق واحد هو الاتحاد فى نقابات من منظمة مخلصه جمعت شملهم وشدت أزرهم ، وجهرت برأيهم ، واستخلصت حقهم ، فلم لا يهتدى عمالنا بأثار زملائهم الذين سبقوهم إلى الرقى واليسر ، فينظموا صفوفهم تحت لواء النقابات التى تحفظ لهم حقوقهم دون أن تعترض طريق النهضة الصناعيه بحقبة ما ، إذ هى طريق الطبقة العاملة إلى الرقى والرخاء ودعامة التقدم الاجتماعى فى مصر الصناعيه .

عبد الحميد عبد الغنى

من أسواق الذهب لشوقى

- العتاب رفاء الود .
- خدع العقل الأمم ، وبنخدعُ الهوى العقل .
- من حمل نواب الحق حمل الأمانة كلها .
- لو حطمت السن المرأة ما حطمت مراتها .
- ربما منعتك الحقوق الكلام ، وأبجمت اليهود فاك بلبام .
- ما مات الحق فى قوم وفيهم رجل حى .
- من ذهب يستنصى سراير النفوس لم يرجع .